طبيب بشره رسول الله بتوأم بعد عشرة أعوام زواج

أنا من جراحي العظام المشهورين بالقصر العيني، أنحدر من أسرة ثرية، وبمجرد حصولي على بكالوريوس الطب أوفدني أبي لجامعة كامبردج ببريطانيا للحصول على الماجستير والدكتوراه بل والزمالة أيضاً.

اخترت تخصص العظام وعشت في بريطانيا أكثر من عشر سنوات اصطبغت فيها حياتي بالمجتمع الانجليزي في عاداته وسلوكياته، والذي ساعد على سرعة تكيفي مع البيئة الانجليزية المحيطة بي، عدت لمصر وتم تعييني مدرساً لجراحة العظام بالقصر العيني.

تزوجت من ابنة عمي، ومر على زواجنا عشرة أعوام لم نرزق فيها بطفل .. ولم أدخر جهداً في عرضها على كبار الأطباء داخلياً أو خارجياً ..

استسلمت لقضاء الله ، وكنت أعرف كم تتعذب حينما تجد منزلنا خالياً من ضحكات الأطفال ولعبهم ، لكن ما عساي أن أفعل .

دُعيت مرة لمؤتمر لجراحة العظام بجامعة أسيوط، ركبت القطار المكيف، وأخذت أبحاثي معي، فجأة جلس بجواري رجل يتضح من هيئته أنه فلاح أو صعيدي، أسمر الوجه واسع العينين يرتدي جلابية رمادية اللون، يغطي رأسه بشال أبيض يفوح من ثيابه عطر نفاذ!!

بوجهه بريق أو نور محبب تحسه ولكن لا تستطيع وصفه، كان يسير بصعوبة يتوكأ على عصا ويستند على ذراع شخص آخر عرفت أنه ابنه.

طلب مني ابنه أن أترك له كرسيّي وأنتقل لكرسيه ليكون بجوار أبيه، ولكني رفضت بشكل قطعي فهذا حقي ولا أجامل به، وكان حريا به أن يحجز كرسيين متجاورين!!

همَّ أن يرفع صوته ولكنه سكت بإشارة من أبيه، الذي راح يتلو أدعية وصلوات وأوراد بجانبي، حتى أحسست بالضيق، ولم أعد أركز في القراءة، وكنت أختلس إليه النظر غاضباً وكأنما شعر بهذا، فقال لي مبتسما "صوتي أزعجك؟" رددت بمنتهى الصراحة نعم وأرجو أن تخفض صوتك، اعتذر ثم راح يتمتم بصوت غير مسموع فأحسست بالراحة .

فجأة استغرق في نوم عميق وعلا شخيره، فشعرت بتوتر من شخيره ولكني أشفقت عليه أن أوقظه نظراً لما يعانيه ..

ثم فجأة سمعته يتكلم بصوت خفيض :

وعليك السلام يا سيدي يارسول الله

سمعاً وطاعة يا سيدي

بشرك الله بكل خير

!!..وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا سيدي

.... لم يسمعه أحد سواي وكأنه كان لا يريد أن يسمعه أحد

... قلت: ربما كان ذلك يحدث في لاوعي الرجل، ولكن شخيره علا ثانية

يا إلهي إن الرجل كان مستغرقاً في نومه، لم يكن يتصنع ربما كانت رؤيا طيبة

... ثم قلت: فليرَ ما يشاء لا أقحم نفسي فيما يرى لأنه لا يعنيني

استيقظ الرجل بوجه غير الذي نام به، ازداد ذلك البريق، أصبح النور يشع من وجهه، لا تخطئ العين رؤياه.

اقترب منه ولده و راح يمسح وجهه الذي بُلل بالعرق.

فجأة سمعته يقول لابنه بصوت منخفض: الدكتور عبد الرحمن كيلاني راكب معانا هذا القطار وسوف يقوم بالعملية بكره إن شاء الله !!!!.

صدمتني تلك العبارة بشدة لكني قلت في نفسي ربما هناك من أخبره عن موضوع القطار ربما ممرض عيادتي، ولكن هذا الأمر لم يكن مطروحاً قبل أن ينام الرجل ويرى ما رأى، أتكون رؤيا وشفافية ؟!

قررت أن أخوض معه الأمر لنهايته ولكن أنا المبادر هذه المرة، خاصة بعد أن ذكر اسمي وأصبحت بطلاً لرؤياه التي رآها، سألني وحضرتك نازل فين ؟

أجبت أسيوط..

سكت الرجل وأشاح عني بوجهه، أصبح الفضول يقتلني، فأخذت أسأله بعض الاسئلة فيجيب باقتضاب، لم تشف ردوده غليلي، فقررت أن أنزل بآخر كارت

..معي، فسألته هل أنت تعرف الدكتور عبد الرحمن؟ فقال لا ولكني ذاهب إليه

!!!قلت له : أنا الدكتور عبد الرحمن كيلاني

.نظر للأرض وكأنه لم يفاجأ، لكنه راح ينقر أرضية القطار بعصاه

وأنا أسمعه يتمتم بالصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم ، تركني

!! أتحرق لمعرفة ردة فعله، لكنه صمت

ثم فاجأته بقولي : لعل رسول الله أخبرك بهذا؟

فذهل الرجل وظهر التأثر واضحا عليه، ورفع رأسه واتّسعت عيناه ونظر إليَّ

!!طويلاً باستغراب

ثم سألني متلعثماً وممن عرفت ؟ ومن قال لك؟

.ابتسمت في نفسي وقلت ها أنا ذا قد نلت منك يا رجل، لكني لم أجبه

فكرر السؤال في لهفة وهو يلح في الإجابة، وأنا أتصنع الوقار وأرسم الجد على

.ملامحي

!!أشحت عنه بوجهي مثلما يفعل وقلت هذا أمر خاص بي

رد مسرعاً نعم نعم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحمَّلني لك رسالة يقول

.. لك استوص بالشيخ راضي خيرا

.ابتسمت نصف ابتسامة وقلت :"صلى الله عليه وسلم"

!!فقلت له :ولكن هل أنبأك الرسول الكريم أنني سأجري لك العملية غدا ؟

.. نظر إليَّ طويلاً وكأنه أدرك أن الشك يداخلني فيما يقول

!!قال نعم وأرسل معي أمارة (علامة) لك

بالأمس كنت تقف مع زوجتك بالبلكونة وترفع يداك بالدعاء أن يرزقك الله بطفل مثلما رزق زكريا بيحيى عليهما السلام، ثم هوَت يدك على كوب الشاي الساخن على حافة الشرفة، فسقط في الشارع بعد أن حرق يدك..

جحظت عيناي)، تجمدت أناملي، جف ريقي، فالآن لم يعد مجال للشك،)

صدمتي كانت واضحة بوجهي، انتابتني رعشة، ورحت ألمس يدي الملتهبة ..

وجدت كلي يتهاوى أمام ذلك الرجل البسيط..

انا خريج كامبرديج والحاصل على زمالة الجراحين الملكية الذي يقبل أن يفكر بهذا الأسلوب؟!

أحسست أني أقف أمامه مسلِّما، ولا أدري كيف انحنيت على يده أقبلها والدموع تملآن عيني وسط ذهول من يرانا من الركاب ..

راح يمسح رأسي، ثم قال: ولك عندي بشرى خاصة أخبرني بها الحبيب الكريم عليه الصلاة والسلام..

لقد سمع الله دعاءك وسيمنُّ عليك بيحيى ومحمد معاً، فأمسكت بالهاتف المحمول، اتصلت بزميلي رئيس مستشفيات أسيوط لأطلب منه أن يحجز غرفة باسم الشيخ راضي، لأني سأجري له عملية، غداً وأنا من سيتولى كافة تكاليفها .

نزلنا المحطة كانت تنتظرني سيارة، صممت أن أذهب للمستشفى أولاً للحجز للشيخ راضي لتجهيزه للعملية.

و أغلقت هاتفي بعد المؤتمر، ودخلت غرفة العمليات وأنهيت العملية بنجاح بفضل الله.

كانت عادتي أن أترك متابعة المريض للفريق الطبي المشارك، ولكني صممت أن أتابعه بنفسي في كل صغيرة وكبيرة تنفيذاً للوصية الكريمة ...

حتى جاءني زميل دراسة وأخبرني أن زوجتي اتصلت بي عشرات المرات وكان هاتفي مغلقاً ..

أسرعت لأكلمها، فوجدتها منهارة وتبكي، كاد القلق أن يقتلها عليَّ، اعتذرت لها،

"فصاحت في طفولة: يا عبد الرحمن أنا حامل"

أجريت اختبار حمل بناء على نصيحة طبيب النساء الذي يتابعني، حيث ذهبت إليه بعد أن شعرت بألم يمزق جنبي والحمد لله أنا حامل، ابتسمْت وتراءى لي وجه الشيخ راضي، فقلت لها : عارف ومش كده وبس أنت حامل بتوأم!..

وجدَتني أكلمها بثقة كاملة، وبجدية تعرفها فيَّ، صاحت عبد الرحمن أنت تعبان ؟

أكملت حديثي وكأني لم أسمعها، ستلدين يحيى ومحمد! ضحكت وقالت وتوأم كمان ؟

.... ثم قالت ضاحكة : وبعدين أنا في أول الحمل يا شيخ عبده

وضعَت زوجتي توأماً، ومن يومها وزوجتي تنظر إليَّ بانبهار وإكبار، كنظر المريد لشيخه، وتقول عني : (سرك باتع ومكشوف عنك الحجاب ياشيخ عبده)!

فأضحك في نفسي لأني لم أخبرها بشيء، بناء على طلب الشيخ راضي، وها هما أولادي محمد ويحيى عمرهما الآن خمس سنوات يتشاكسان حولي لا أستطيع منعهما وإلا تعرضت لما لا تحمد عقباه من أمهما.